(٣)

الشيـــوعيـــــة

- الشيوعية باعتبارها فكرة (عقيدة ونظاما)
- الشيوعية باعتبارها دولة تعادى الإسلام
- لماذا نرفض الشيوعية؟
- الشيوعية مذهب مادى ضد عقيدتنا
- ضد شريعتنا وقيمنا الأخلاقية
- ضد الحريـــــة
- مذهب متناقض
- ضد وحدة الأمة
- استعمار جديد
- التخريب من الداخل علاقة اليهودية بالشيوعيـــــة
- أداة الصليبية لحربنا
- دعوة رجعية
- مذهب لا حاجة بنا إليه

الشيـــوعيـــــة

العـدو الثـالـث للحل الإسـلامى – بعـد الاسـتـعـمـار والصـهـيـونيـة – هو الشيوعية.

والشيوعية عقيدة وفكرة ومذهب، كما أنها نظام ودولة وحكومة، منبثقة عن العقيدة. وهى – بكلا الاعتبارين – تحارب الإسلام، وتعتبره عدوا مبينا لها، وخطرا على وجودها وامتدادها.

● **عقيدة الشيوعية تناقض الإسلام:**

فهى – باعتبارها عقيدة وفكرة – تعادى الأديان كلها، وتخص الإسلام بمزيد من العداوة والنقمة، كما تعد الدعاة إلى الإسلام ألد أعدائها.

إنهـا (فكرة مادية) تقوم على فلسفة (المادية التاريخية) التى قال بها (مـاركس) والتى لا ترى وجـوداً إلا للمـادة، ولا تؤمن بما وراء المادة أو الحس (الميتافيزيقا). وما دام (الله) الخالق للكون والإنسان غير مادى بمعنى أنه لا يرى ولا يلمس ولا يشم ولا يذاق، ولا يدرك بأى حاسة من الحواس المعروفة، فهى لا تؤمن بوجوده، بله أن تعترف بحاكميته لخلقه، وحقه – جل شأنه – فى أمرهم ونهيهم والتشريع لهم.

إن فلسفة ماركس تؤكد ما قاله الفلاسفة الماديون قديما وحديثا، مثل (فويرباخ) الذى قال: ليس صوابا أن الله خلق الإنسان، بل الصواب أن الإنسان هو الذى خلق الله!.

فالدين فى نظر الشيوعيين (خرافة) روّجتها طبقات الملوك والنبلاء والأثرياء والإقطاعيين وأمثالهم، لإلهاء الفقراء والمستضعفين والطبقات الكادحة والمسحوقة فى المجتمعات البشرية، عن المطالبة بحقوقهم، والثورة على ظالميهم، على أمل أن يعوضوا عن ذلك فى الجنة.

والدين بهذا الاعتبار يعد (مخدرا) أو (أفيونا) للشعوب، كما قال ماركس ومن تبعه.

على حين يرى الإسلام أن الدين هو جوهر الحياة، وروح الوجود الإنساني، والحياة بغير دين، هى حياة الأنعام، لا حياة الإنسان ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان: ٤٣ - ٤٤].

والشيوعية لها فلسفة فى تفسير الكون والحياة والإنسان والتاريخ، تناقض فلسفة الإسلام وفكرته الكلية فى تفسير هذه الأشياء. فالكون هو هذا المادى المنظور، ولا يوجد كون آخر غير منظور، ولا خالق يدبر هذا الكون. والحياة هى هذه التى نعيشها، ولا حياة أخرى وراءها للحساب والجزاء ... والإنسان هو هذا الغلاف الطينى المادى الذى نراه، ولا روح فيه. والتاريخ إنما تحركه وتسيره عوامل اقتصادية بحتة، وعلاقات الإنتاج وأساليبه هى التى تحدد مسيرته. أما العوامل الروحية والأخلاقية والفكرية، فليس لها اعتبار يذكر، فى حين اعتبر القرآن هذه العوامل النفسية هى التى تغير الحياة، وتصنع التاريخ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١].

الشيوعية تقوم على فلسفة حتمية الصراع بين الطبقات، أما الإسلام فيقوم على ضرورة الإخاء والتعاون بين الناس كما فى الحديث: «وكونوا عباد الله إخوانًا» (١) وفى القرآن: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢].

● **نظام الشيوعية يناقض شريعة الإسلام:**

والشيوعية ليست مجرد عقيدة وفلسفة نظرية، بل هى عقيدة ينبثق منها نظام للحياة، يصبغ حياة المجتمع كلها بصبغته، فى الاقتصاد، وفى الاجتماع،

---

(١) جزء من حديث متفق عليه.

وفى السياسة، وفى الثقافة، وفى التربية، وفى التشريع، وفى التقاليد، وفى الفنون، وفى كل شئون الحياة فردية وأسرية واجتماعية، مادية ومعنوية، محلية ودولية.

وهى - بهذا الاعتبار أيضا - تعارض الإسلام ويعارضها، على خط مستقيم. فالإسلام يتميز بأنه عقيدة وشريعة ومنهج كامل للحياة يصحب الإنسان بأحكامه ووصاياه، منذ أن يولد إلى أن يموت، بل من قبل أن يولد، وبعد أن يموت. وكما يصحبه (زمانيا) فى رحلة حياته كلها، طالت أم قصرت، يصحبه (مكانيا) فى جوانب حياته كلها، فى البيت وفى الطريق، وفى المسجد وفى المزرعة أو المصنع أو المتجر، أو المدرسة أو الجامعة أو المكتب أو المحكمة أو الديوان. ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١١٥].

ولا يخلو عمل أو تصرف من تصرفات الحياة إلا وللإسلام فيه حكم من أحكامه الشرعية الخمسة: الوجوب، أو الاستحباب، أو التحريم، أو الكراهة، أو الإباحة، ابتداء من أدب المائدة إلى بناء الدولة.

وللإسلام أحكام قاطعة تعد من الثوابت التى لا يجوز التنازل عنها أو التفريط فيها، مثل أحكام الزواج والطلاق والمواريث، وحل البيع، وحرمة الربا، وتحريم المسكرات والزنى والاعتداء على الملكية الخاصة للناس، وإقامة الحدود والقصاص ... إلخ.

وللشيوعية فى كثير من هذه الأحكام مواقف مضادة، ومن هنا لا بد من الصدام مع الإسلام، الصدام الفكرى أولا، ثم الصدام العملى بعد ذلك.

فإذا كانت الشيوعية تصطدم بالمسيحية مثلا بوصفها عقيدة، فهى تصطدم بالإسلام بوصفه عقيدة ونظاما ومنهاجا متكاملا للحياة.

● **الشيوعية باعتبارها دولة:**

علمنا أن الشيوعية ليست مجرد عقيدة ومذهب ونظام للحياة، وقد كانت كذلك منذ عهد ماركس وإنجلز، ولكنها بعد عهد لينين، أصبحت دولة

وحكومة، بل دولة كبرى، تعتبر الدولة الثانية وأحد قطبى العالم، وإحدى القوتين العظميين.

وهذه الدولة تتوجس خيفة من الإسلام من جهتين: من داخلها، ومن خارجها.

فمن ناحية الداخل، نجدها تضم ملايين المسلمين فى داخل روسيا نفسها من التتار والقوقازيين وغيرهم.

كما يضم الاتحاد السوفيتى (جمهوريات إسلامية) هى فى حقيقة أمرها (أوطان إسلامية) كاملة، لها استقلالها، ولها هويتها، ولها حضارتها وتاريخها، ضمت بالقوة القاهرة إلى الاتحاد السوفيتى، وأدخلت قسرا تحت الستار الحديدى، وعدهم الناس ضمن (الأقليات الإسلامية).

هؤلاء المسلمون قاوموا الثورة الشيوعية، وضربوا بيد من حديد، وسحقتهم القوة الجبارة سحقا، وذبحت الملايين، وسجنت وشردت، ونكلت وعذبت، واستخدمت كل أدوات البطش والقهر، حتى رضخ الناس أخيرا، حين قلمت أظفارهم، وخلعت أنيابهم، وكسرت أسلحتهم وأدواتهم، ولم يبق لهم ما يدافعون به عن أنفسهم.

وكلما بدا منهم شئ، وحتى بدون أن يبدوا شئ ،مجرد هواجس أو مخاوف تُعرّض هؤلاء المسلمين لإبادات منظمة، بالتقتيل أو بالتهجير، من أرض إلى أرض، محاولة للتغيير (الديمجرافى) وخصوصا النفى إلى صحراء (سيبيريا).

هذا من ناحية الداخل، أما من ناحية الخارج، فإن الإسلام يقف عقبة فى سبيل انتشار الشيوعية فى العالم العربى، والعالم الإسلامى، فى آسيا وفى إفريقيا، وهو السد المنيع الحائل دون المد الشيوعى.

ورغم وجود أقوى حزب شيوعى فى آسيا فى بلد إسلامى – وهو إندونيسيا – لم يستطع أن يستولى على الحكم، وفى أول فرصة انهار الحزب ولم تقم له قائمة.

وكذلك كان أقوى حزب شيوعى فى إفريقيا فى بلد إسلامى آخر، هو السودان، وقد سقط الحزب كذلك على أم رأسه، فلم يستطع أن يجد له فرصة بعد ذلك.

هناك بلدان إسلاميان صغيران دخلتهما الشيوعية فى غفلة من المسلمين:

البلد الأول: هو (ألبانيا) من أوروبا الشرقية.

والبلد الثانى هو: (اليمن الجنوبى) من الجزيرة العربية.

وكلا البلدين شقى بالشيوعية، ولم يطعم الناس فيه من جوع، ولم يأمنوا من خوف، ولم تحقق الشيوعية لهم (الجنة) التى وعدتهم بها، ولم يجن الناس من ورائها غير الشوك والحنظل، والثمرة من جنس البذرة ﴿**وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا**﴾ [الأعراف: ٥٨].

● **علاقة الشيوعية باليهودية:**

وهناك عامل آخر يزيد نار العداوة الشيوعية اشتعالا للإسلام ودعاته، ذلك: أن الشيوعية أو الماركسية، أو الاشتراكية العلمية هى بنت اليهودية. وعلاقة الشيوعية باليهودية علاقة وثيقة لا تنكر، فى روسيا أو فى غيرها، قبل الثورة البلشفية فى روسيا وبعدها فى الفكر والتخطيط والتمويل والتنفيذ.

ومن أدلة ذلك:

١ - أن كارل ماركس مؤسس الشيوعية نفسه من أسرة يهودية عريقة. فقد كان جده حاخاما معروفا، وكذلك كان والده، وإن اضطر إلى اعتناق البرتستانتية فى منتصف عمره، لكى يستطيع أن يمارس مهنته فى بيئة ألمانية تكره اليهود ولا تثق بمعاملاتهم، وتقيد عليهم ممارسة بعض المهن والحرف.

لقد ظلت العقيدة اليهودية تعمل عملها فى نفس ماركس، وأخذت «المشكلة اليهودية» قدرا كبيرا من كتاباته وتفكيره. وقد ألقى اللوم فى اضطهاد اليهود على الظروف الاقتصادية التى تكتنف الجماعات التى يعيش بينها اليهود،

لا على العناد اليهودى نفسه الذى يريد أن يفرض منزلته (كشعب الله المختار) على الجماعات الأخرى، بكل الوسائل (ومنها الربا) مما يدفع هذه الجماعات إلى المقاومة والاستنكار والانتقام من اليهود.

ولقد كان ماركس وثيق الصلة بل التلمذة على مؤسس النظرية الصهيونية وفيلسوفها الأول « موثه هيس » الذى وضع أسس الحركة الصهيونية نظريا وتطبيقيا فى كتابه العميق « الدولة اليهودية » وفى بحثه الآخر « روما والقدس » اللذين استوحى منهما « هيرتزل » الزاد الفكرى للترويج للحركة الصهيونية.

التقى كارل ماركس و« موثه هيس » سنة ١٨٦٢ لقاء صداقة عميقة متواصلة طويلة، وبلغ إعجابه به حد العشق والافتتان، كما يلحظه كل مطلع على كتب ماركس، مثل أطروحته عن « المشكلة اليهودية » وخصوصا رسائله إلى « أورباخ » وقد وصف صديقه « موثه هيس » بما يلى:

« إننى قد اتخذت هذا العبقرى قدوة لى ومثالا، لما يتحلى به من دقة فى التفكير، وتوارد فى الخواطر، وتوافق فى الآراء مع عقيدتى وما أومن به .. فهو رجل نضالى فى الفكر والسلوك ... ».

وكثير من أقطاب الفكر الصهيونى المعاصر يؤكدون صلة ماركس بالصهيونية، وإخلاصه لها، مثل الحاخام « لويز رونس » فى كتابه « أغرب من الخيال » الذى يقول فيه: « إن كارل ماركس حفيد الحاخام « مردخاى ماركس » كان فى روحه واجتهاده وعمله ونشاطه، وكل ما قام به وأعد له من فكر وأسلوب، أشد إخلاصا لإسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بأدوارهم فى مولد الدولة اليهودية » (١).

٢ – لقد انتهى كارل ماركس فى دراسته للمشكلة اليهودية إلى أنها لا تنحل نهائيا إلا بالتحويل الاشتراكى للعالم بأسره، وإذابة الأديان والقوميات

---

(١) موسكو وإسرائيل للدكتور عمر خليفة ص ٣٠، ٣١.

كلها فى بوتقة الماركسية. وما دامت الماركسية فكرة وحركة تتوخى إخضاع المجتمع إلى «طليعة ثورية» تجمع فى يدها كل مقدرات الأمة، فقد وجد اليهود فى هذه الفكرة ما يتفق واعتقادهم بأنهم «شعب الله المختار» لذلك جاهدوا أن يكونوا هم هذه «الطليعة القيادية» المختارة، لكل الحركات الماركسية فى العالم.

ولا غرو أن وجدت تعاليم ماركس فى روسيا يهوديا خارق الذكاء، حديدى العزم، استطاع أن يحول الماركسية من فكرة وحركة إلى ثورة ودولة تتسلم زمام الحكم فى روسيا، ذلك هو «لينين» الذى لولا أساليبه الجهنمية ما كان هناك احتمال لوصول الماركسيين فى أى مكان إلى سدة الحكم، كما هو رأى أكثر المؤرخين.

كان لينين يهودى الأصل، وكانت زوجته ورفيقة حياته فى العمل الماركسى يهودية أيضا. وكذلك الأغلبية الساحقة من زملائه وأعوانه فى الحركة الماركسية، خارج الاتحاد السوفيتى وداخله، فى سدة الحكم البلشفى، وفى أيام منفاه، أمثال «تروتسكى» و«رادك» و«روزا لوكسمبورغ» وعشرات غيرهم من أقطاب الحركة الماركسية كلهم من اليهود من مختلف الجنسيات.

ولهذا لا نعجب إذا كان أكثر زعماء الحكم الشيوعى الجديد من اليهود، بعضهم روس، وبعضهم بولنديون، وبعضهم من ألمانيا، ومن غيرها من البلاد والتبعيات.

٣ – وفى الأيام الأولى من تسلم البلشفيك (الشيوعيين) الحكم فى روسيا، وفى الأسبوع الأول بالضبط من حكم «لينين» سنة ١٩١٧، أصدرت الحكومة السوفيتية الجديدة قرارين رئيسين:

أحدهما : اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون .

وثانيهما وهو أهمهما : إعلان الحكومة السوفياتية برياسة « لينين » التأمين الكامل لحق اليهود في وطن قومى لهم فى فلسطين .

وقد نشرت ذلك مجلة « فرنسا القديمة » فى مجلد عام ١٩٢٠ [١] أى فى الأيام المعاصرة لحكم لينين نفسه . ولفت النظر إلى هذا القرار كاتب عربى هو الأستاذ « إبراهيم الحلو » فى كتابه « الشيوعى والصهيونى توأمان » [٢] .

وليس شئ أدل على هذا القرار من تغلغل النفوذ اليهودى فى الدولة الاشتراكية الأم منذ بدء قيامها ، حتى إنها لتصدر فى الأسبوع الأول من حكمها مثل هذا القرار الخطير ، فى نفس الوقت الذى صدر فيه أيضا « وعد بلفور » المشهور ، وإن هذا الوعد الإنجليزى وذاك القرار الروسى ليدلاننا على مدى المكر اليهودى ومبلغ سيطرته على القوى السياسية الكبرى فى العالم ، وإن كان الناس يعرفون وعد « بلفور » ويذكرونه ، ولكنهم يجهلون قرار « لينين » الذى ظهر أثره جليا فيما بعد فى محافل هيئة الأمم ، ودور الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية قاطبة ، فى خلق إسرائيل وإبقائها .

٤ – وفى معبد الماركسية الرئيسى فى موسكو ظل خبراء الشؤون العربية السوفيات مقصورين على المثقفين من الثوريين اليهود ، من مختلف الجنسيات .

فأكبر خبير فى أول سنوات الحكم البلشفى سنة ١٩١٧ – ١٩٢٧ فى الشؤون العربية والإسلامية كان المدعو « ميخائيل بافلو فيتش » واسمه الحقيقى « لازار فالثمان » وهو يهودى عيّنه البلشفيك رئيسا للجمعية العلمية للدراسات الشرقية ، وتولى هذا اليهودى تحرير مجلة « الشرق الجديد » التى أصبحت مصنعا

---

(١) موسكو وإسرائيل ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) صادر فى دمشق وليس عليه تاريخ . انظر موسكو وإسرائيل ص ٣١ ، ٣٢ .

فكريًّا ومرجعا رئيسيا لأى تخطيط عقائدى أو سياسى أو تنفيذى، بالسياسة السوفيتية، وللماركسية العالمية فى «الكومنترن» بشأن قضايا العرب والإسلام.

وتكفل الاجتهاد اليهودى بإعادة كتابة التاريخ العربى الإسلامى من الزاوية الماركسية، ليفهم أهل الحل والربط فى السياسة السوفيتية وفى «الكومنترن» مواطن الضعف والقوة فى دنيا العرب والإسلام.

ومن أمثلة هذا الإعداد والاجتهاد لدرس سبل الوصول الماركسى إلى الساحة العربية: هذا البحث المبكر الذى نشره اللسان الرسمى لأعلى مرجع فى المعهد السوفيتى كله «المجلة القانونية للحزب الحاكم».

فى هذا البحث جاء هذا القول:

عالم العرب تتفاوت جماعاته فى مستوى النضوج الاقتصادى والاجتماعى، من وجهة النظر الاشتراكية العلمية، ولكنهم جميعا يتحدون فى شئ واحد، وهو رسوخ العقيدة الدينية الرجعية فى طباعهم، ثم يليها النزعة القومية، وهى نزعة أساسها اللغة والثقافة العربية الإسلامية «فلا بد من التغلب أولا على الدوافع الثقافية؛ لأنها أسهل منالا وأقل استحكاما .. فالوعى فى دنيا العرب ضعيف، والتسرب إليه وتوجيهه يساريا أمر ممكن، وخصوصا أن شعار «مكافحة الاستعمار» سريع الرواج فى الوسط العربى القومى والدينى.

«والتعليم يساعد على التوسع فى التوجيه الثقافى والتعليمى والإعلامى من الزاوية اليسارية .. وخير مكان للدخول إلى ذلك هو من المركز التقليدى للثقافة العربية .. من القاهرة»[1].

٥ – ولا عجب أن رأينا دعاة الماركسية الثورية الأوائل فى العالم العربى من اليهود.

فأول حزب شيوعى فى مصر أسس سنة ١٩٢١ على يد يهودى يدعى

---

(١) موسكو وإسرائيل ص ٤٨، ٤٩.

« روزنبرغ » وهو صاحب مخزن لبيع الجواهر فى الاسكندرية، ثم تطورت الحركة الماركسية على يد جماعة من اليهود فى مصر رمز لها باسم « حد تّو » أى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، والذى أسس هذه الحركة وموّلها ورعاها يهودى أجنبى إيطالى الأصل « متمصر » آسمه « هنرى كوريل » [١] صاحب « بنك كوريل » بالقاهرة [٢].

ومن عجب أن يكون هذا المليونير اليهودى الأجنبى هو الداعية الحنون لرعاية الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين المصريين!!.

وكل المنظمات اليسارية فى مصر كان يقوم عليها اليهود: حركة « دال شين » يرأسها يوسف درويش وريمون دويك وهما يهوديان. وحركة « اسكرا » يرأسها « إيلى شوارتز » وهو يهودى. وحركة « م ش م » ترأسها أوديت وسلامون زوجها وهما يهوديان. وهذه هى التنظيمات الشيوعية الرئيسية فى مصر قبيل الحرب الفلسطينية وخلالها، وهى التى اندمجت وانقسمت بعد ذلك حتى وصلت إلى حوالى ثلاثين منظمة .. لم تخرج عن سيطرة اليهود [٣].

وتاريخ اليسار الماركسى الثورى فى العراق مدين أيضا لليهود فى التنظيم والحضانة، والتمويل من أمثال المليونير « قطاف » وغيره، كما يعلم ذلك كل مطلع

---

(١) كان هذا اليهودى الماركسى معتقلا معنا سنة ١٩٤٩ فى معتقل « هاكستب » بالقرب من القاهرة. فقد جمع هذا المعتقل الإخوان والشيوعيين، وكان (كوريل) يحرك الشبان المصريين والسودانيين الشيوعيين كأنهم دمى فى يده!.

(٢) وثائق الحركة اليسارية المصرية التى نشرها هنرى كوريل نفسه، وطبعها ووزعها الحزب الشيوعى الفرنسى عام ١٩٥٦، وكذلك سلسلة المقالات التى نشرها الأستاذ أحمد زين العابدين الحامى، أحد زعماء اليسار فى السودان فى مجلة « النداء » السودانية أعداد مايو ١٩٦٦ أنظر: موسكو وإسرائيل ص ٢٩.

(٣) انظر: دراسة فى فكر منحل للأستاذ جلال كشك ص ١٤٩.

على تاريخ الحركة الماركسية فى العراق [١] وكان سكرتير الحزب الشيوعى فى عام ١٩٤٧ هو « شلومو دلال » [٢].

واللجنة المركزية الأولى للحزب الشيوعى السورى اللبنانى، كان سكرتيرها العام هو « جاكوب تيبر » وكان « تيبر » هذا يهوديا روسيا قدم من فلسطين إلى بيروت واسمه الحزبى : الرفيق « شامي » [٣].

وحتى بعد انتخاب القيادة الجديدة برئاسة أول شيوعى مسلم الأصل، وهو خالد بكراش أرسلت فرج الله الحلو إلى تل أبيب لتنسيق العمل، وأستقدمت اليهودى « نخمان ليفنسكى » بوصفه مستشارا أو خبيرا فى التنظيم الماركسى [٤].

● **حملة الشيوعية على الإسلام منذ قيام دولتها :**

وحملة الشيوعية على الإسلام، ومحاولة مسخه وتشويهه ونشر الأكاذيب من حوله – قضية قديمة، ليست بنت اليوم، ولا وليدة الأمس القريب. إنها برزت سافرة مكشوفة القناع منذ سيطر الشيوعيون على الحكم فى روسيا.

فقد عقد أعضاء « الكومنترن » – وهو الهيئة الدولية للشيوعية – مؤتمرا فى مدينة « باكو » بالقوقاز (من ١٩ / ٧ إلى ٧ / ٨ سنة ١٩٢٠) كان رئيسه « كارل راديك » اليهودى الماركسى العتيد. وكان اللحن الرئيسى لهذا المؤتمر – كما وصف راديك – هو خلق شعار « حركة التحرير الوطنى » للشعوب العربية والإسلامية.

وقد تمخض مؤتمر « باكو » عن بيان أو « مانيفيستو » موجه إلى الشعوب

---

(١) موسكو وإسرائيل ص ٢٩.
(٢) دراسة فى فكر منحل ص ١٤٩.
(٣) تاريخ الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى ص ١٦.
(٤) صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان – محمد على الزرقا، وإلياس مرقص.

الإسلامية. اشتمل هذا البيان على عبارات ونداءات – بشأن القضية الفلسطينية – لازالت دستورا للماركسية الدولية والعربية إلى اليوم. مثل:

« . . . انظروا ما فعل الاستعمار البريطانى فى فلسطين. لقد ساعدوا اليهود الأبرياء (كذا).

« . . فإذا استمر هذا العداء ستضعف قوى الطرفين: العربى واليهودى، ليسود الاستعمار البريطانى والرجعية العربية عليهما معا. وتتمزق صفوف الجماهير العربية واليهودية معا . . ».

والذى يعنينا فى هذا الموضوع هو ما احتواه البيان الماركسى فى ذلك العهد المبكر، من شتائم وأكاذيب ضد الإسلام ونبيه، تستفز شعور أدنى المسلمين غيرة على دينه.

من هذه الشتائم السافلة هذه الفقرة:

« يا شعوب الشرق.

« كم من مرة دعتكم حكوماتكم الرجعية إلى الحرب المقدسة . . . إلى الجهاد . . . ومشيتم إلى الحرب تحت راية النبى الخضراء . . . ولكن مثل تلك الحروب كانت خدعة لكم، لا يستفيد منها سوى الرجعية والإقطاع . . . وتلك الراية كانت زائفة؛ لأن النبى نفسه زائف ومخادع، جاء بدعوة تخدم الرجعية والإقطاع ».

هذه فقرة من البيان الذى أراد به مصدِّروه بلشفة العالم الإسلامى، والذى علقت عليه المجلة العسكرية السوفيتية حينذاك، والتى كان يشرف عليها اليهودى « تروتسكى » وزير الحربية وخليفة « لينين » فوصفته بأنه « قرآن جديد للمسلمين »!.

ولا غرو أن غضب المسلمون فى الاتحاد السوفيتى نفسه، حين نشرت أخبار المؤتمر وبياناته، وثاروا على عنف التحدى لعقيدتهم الإسلامية، مما اضطر « لينين » نفسه – وكذلك « ستالين » – أن يرسل توبيخات شديدة لأعوانه « اليهود » الذين

أشرفوا على مؤتمر «باكو» لتسرعهم فى مواجهة الإسلام بهذه السرعة وهذا العنف[1].

● **أساليب الشيوعيين فى محاربة الإسلام:**

وللشيوعية أساليب متنوعة فى حرب الإسلام، ومقاومة الاتجاه الإسلامى. فمن هذه الوسائل:

● **الدراسات المضللة:**

١- ويعنى بها الدراسات الخبيثة المضللة التى يقوم بها كتاب الشيوعية ومستشرقوها، فكما أن للمسيحية مبشريها الذين يلبسون مسوح الدين، وهم يستحلون الكذب على الإسلام ونبيه وتاريخه، نرى للشيوعية مبشريها الذين يتزيون بزى أهل العلم والبحث وما هم من العلم والبحث فى شئ إنما هم ناشرو أكاذيب، ومروجو أباطيل.

ومن أمثلة ذلك النشرة التى كتبها أحد مبشرى الماركسية الروس، ونشرها شيوعيو العراق - فى عهد عبد الكريم قاسم - وعرفت باسم «الكراسة الرمادية» وهى تحتوى جملة من التهم الملفقة الباطلة التى يضللون بها من ليس لهم أدنى علم بأصول الإسلام وتاريخه.

وقد رددنا عليها فى بحث نشر فى مجلة الأزهر ومستقلا تحت عنوان «الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين[2]» وقد ترجمه الأزهر إلى الإنجليزية.

ولا بأس أن أضع أمام القارئ بعض النماذج «العينات» التى كتبها

---

(١) موسكو وإسرائيل ص ٤٠ - ٤٥ وقد نقل المؤلف هذه الوقائع والنصوص من مراجع الشيوعيين أنفسهم.

(٢) اشتركت فيه مع أخى وزميلى أحمد العسال، وكان ذلك بتكليف من الأستاذ الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر فى عهد الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

الشيوعيون الروس فى موسوعتهم عن « الإسلام » ليعلم القارئ الواعى المنصف إلى أى درك انحط هؤلاء الذين يزعمون لأنفسهم الموضوعية والعلمية فى البحث والتفكير.

وأنقل هذه الفقرات من كتاب (أضواء على الشيوعية).

كتبت الموسوعة الروسية تهاجم نبى الإسلام وكتابه فى الصفحة ٥٩٩ من المجلد الثامن تقول: « إن القرآن هو الكتاب المقدس الأساسى للإسلام. وهو عبارة عن مجموعة من المواد الدينية والعقائد تستخدمه الطبقات الاستغلالية وعلماء الدين الإسلامى الرجعيون كسلاح لخديعة الجماهير الكادحة وقهرها !

وتمضى الموسوعة الشيوعية فى انتهاكها حرمة الإسلام فتقول:

« ولد محمد حوالى ٥٧٠م وتوفى عام ٦٣٢م، ويعتبر موحدا للإسلام. ويصوره العرف الإسلامى الدينى كأعظم الأنبياء وخاتمهم. وكان أول من وضع سيرة محمد هو ابن إسحاق من المدينة، وكان هذا جامع خرافات شعبية وأساطير. ويوجد فى هذه السيرة عدد كبير من الخرافات والأساطير!!

بل إن سيرة محمد فى هذه الأيام تستمد بالدرجة الأولى من مواد شبه خرافية. من القرآن، وهو مواد يتقبلها دعاة الإسلام البرجوازيون دون أى اعتراض.

وقد أرغم سكان مكة بقوة السلاح على اعتناق الإسلام والاعتراف بسلطته.

ولقد أصبح لمحمد فى أذهان الأجيال من المسلمين مكانة التقديس فهو صانع المعجزات وشفيع المؤمنين أمام « الله »، وأما المعاصرون المتعصبون للإسلام فإنهم يبذلون جهدهم للإفادة من شخصية محمد الخرافية فى محاولتهم إضعاف النضال الطبقى.

وتضيف الموسوعة المضللة أيضا فى مجلدها الثانى والعشرين صفحة ٤٨٨ ما يلى:

«إن الإسلام كغيره من الديانات الأخرى يقوم دائما بدور رجعى بحيث يكون سلاحا للضغط الروحى بأيدى الطبقات المستغلة، تشهره على الطبقات العاملة الكادحة. وقد استخدم الإسلام لاستعباد الشعوب فى الشرق.

والرأى القائل «بشيوعية» الإسلام فى أول عهده، وأن «محمدا» وهو الرجل المفترض فيه بأنه مؤسس الإسلام، وأنه كان ثائرا ومصلحا اجتماعيا كبيرا. إنما هو رأى قصد به أن يخفى الجوهر الحقيقى للإسلام، فالقرآن الذى يدافع بشدة عن نظام الاستعباد والذى يعتبر الرقيق نظاما من عند الله. والذى يشجع الاستغلال وعدم المساواة فى الملكية والمركز الاجتماعى بين الناس، إنما ينهض دليلا على بطلان ذلك الرأى المضلل. ولم يكن الإسلام يستخدم كأداة لتنظيم المذابح بين الشعوب الرازحة تحت الظلم فحسب، بل كان يستعمل ضد روسيا أيضا.

ففى النصف الثانى للقرن التاسع عشر أخذت فكرة التوسع الإسلامى تنتشر فى بلاد الشرق وهى حركة رجعية تهدف إلى توحيد الشعوب الأسلامية».

بل جاء أيضا فى هذه الموسوعة المليئة بالمهاترات فى المجلد الثامن عشر صفحة ٥١٦ بالذات ما يلى:

«على أثر الانتصار الذى أحرزته ثورة أكتوبر الاشتراكية فى روسيا، أصبح الإسلام أداة داخلية مناهضة للثورة بأيدى المستعمرين. ففى عام ١٩١٩ أقيمت إمارة فى شمالى القوقاز عين عليها شيخ أعلن أنه سيقيم حكمه على أساس أحكام الشريعة الإسلامية، وفى تركستان طالب علماء الدين الإسلامى الذين كانوا عملاء للاستعماريين الأجانب بأن تدار شؤون البلاد بمبادئ الإسلام، وقاموا بالتظاهر ضد نظام الحكم السوفياتى تحت ستار الدفاع عن الإسلام، ونتيجة لانتصار الاشتراكية وتصفية الطبقات الاستغلالية فى الاتحاد السوفياتى، دمرت أصول الإسلام الاجتماعية كما دمرت أصول غيره من الأديان. ولم يعد الإسلام

فى الاتحاد السوفيتى اليوم سوى بقية شكل من أشكال مبادئ المجتمع الاستغلالى »[1].

● **التخريب من الداخل:**

ومن وسائل الشيوعية فى حرب الإسلام: التخريب من الداخل، وذلك بالتسلل إلى داخل المجتمع الإسلامى، واصطياد السطحين المخدوعين الذين تضللهم الشعارات البراقة، فيركضون وراء سرابها مصدقين، والمحرومين الذين أجج النظام الاجتماعى فى صدورهم نار الحقد على كل الأوضاع القائمة، فلم يعودوا يفكرون إلا فى الهدم والتدمير، والعملاء الذين يتسترون بالثورية والماركسية، لينفذوا منها لضرب الإسلام فى عقر داره ويعادى أهله أنفسهم.

ولقد فشلت الشيوعية سنين عددا، ولم تجد فى ديار العرب مسلما واحدا يؤمن بها، وينخرط فى حزبها، كما يتبين ذلك فى تاريخ الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان، والأحزاب الشيوعية فى الشرق الأوسط بصفة عامة، فقد كان أعضاؤها الأوائل من اليهود أولا، ثم انضم إليهم بعض النصارى، وأخيرا استطاعوا أن يوقعوا فى شباكهم أفرادا من أبناء المسلمين.

وكان هذا نصرا كبيرا بلا شك: أن يحول الشباب المسلم ولاءه إلى المادية الجدلية بدل الرسالة الإسلامية، وأن يؤمن بزعامة ماركس ولينين بدل محمد رسول الله، وأن يتغنى بالبيان الشيوعى بدل التعبد بتلاوة القرآن الكريم، وأن يتجه إلى موسكو بدل مكة والمدينة.

أصبح هؤلاء ينتظرون الوحى دائما من موسكو، وغدت هى قبلتهم الجديدة فلها ولاؤهم، وإليها اتجاههم وحجهم، ومنها استمدادهم. ولا عجب أن تجد من هؤلاء من يخرج على إجماع أمته كلها، إذا كان مخالفا لوحى سادته فى موسكو.

---

(١) انظر: كتاب (أضواء على الشيوعية) ص ٤٢ – ٤٥.

لقد نامت موسكو وبكين وغيرهما من عواصم الشيوعية ملء الجفون، حين أفلحت فى تخريج تلاميذ مخلصين، بل عبيد مطيعين، يحملون عنها عبء التبشير بالدعوة الماركسية، والعداوة للرسالة المحمدية، والمقاومة المستميتة للفكرة الإسلامية.

حفظ هؤلاء «أكليشهات» الماركسية واللينينية عن الدين ورجاله وتاريخه، فهم «ينقشونها» كما هى بمناسبة أو بغير مناسبة.

كنت أفكّر أن أنقل هنا بعض النماذج لتلاميذ الماركسية، لنعلم أى مدى من التخريب بلغته الشيوعية فى بلادنا، ولكنى اكتفيت بشهرة ذلك عن تسجيله. ثم إن سقوط الشيوعية فى بلادها الأم ثبطنى.

ومن أساليب الشيوعية فى محاربة الإسلام، تحريض الحكومات الموالية على الإسلام والحل الإسلامى، ومقاومة الاتجاه الإسلامى الصحيح، والإيعاز إلى الحكومات العلمانية الموالية لها، والتى تمدها - أو تكبلها - بالقروض والمساعدات، والسلاح والخبراء، والإيحاء إليها بضرب الحركات الإسلامية الواعية بعنف وقسوة، وتشريد رجالها فى غير رحمة ولا هوادة، وشن حملات التضليل الجبارة لتلويث سمعتها، وتحريف أهدافها، وتشويه أساليبها، وتنفير العامة والخاصة من فكرتها ودعوتها.

ولا يزال الناس يذكرون سنة ١٩٦٥ زعيما كبيرا، أعلن بجوار قبر لينين العظيم! اكتشاف مؤامره دبرها الرجعيون الإسلاميون، مؤكدا أمام سادة الكرملين: إنه سيضرب بشدة، ولن يرحم أبدا. !!.

* * *

لماذا نرفض الشيوعية؟

إذا كانت الشيوعية أو الماركسية ترفض الإسلام، وتتخذه عدوا لها، كما بينا في الصفحات السابقة، فإننا - نحن المسلمين -- نرفضها كذلك، بل نقاومها ونحاربها، لعوامل وأسباب شتى، يطول الحديث عنها، ولكن ينبغي لنا هنا أن نوجز القول فيها، لنقيم الحجة على المخدوعين، ونخرس ألسنة الخادعين، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

١ - الشيوعية مذهب مادي ضد العقيدة:

أول الأسباب في رفض الشيوعية أو النظرية الماركسية: أنها مذهب مادي، ينكر كل ما وراء الحس، وما بعد الطبيعة، فلا يؤمن أن للكون إلها، ولا أن للإنسان روحا ولا أن بعد الدنيا آخرة، ولا أن لله تعالى رسلا وأنبياء أرسلهم لهداية الناس، وكل ما يقال في هذا المجال، إنما هو أباطيل اخترعها الأغنياء لإلهاء الفقراء، والأقوياء لابتراز الضعفاء، والحكام والمحكومين، فالماركسية أو الشيوعية تتبنى هنا ما قاله بعض الفلاسفة الماديين: أن الله لم يخلق الإنسان، بل الإنسان هو الذي خلق الله!.

يعنون أن فكرة الألوهية لا حقيقة لها، وإنما هي فكرة ابتكرها خيال الإنسان، واستغلها أولو الغنى والقوة والسلطة.

والدستور الروسي الشيوعي يقول: لا إله، والحياة مادة.

والتعليم الروسي، والثقافة الروسية، والإعلام الروسي، كلها تقوم على غرس الفكرة المادية وتثبيتها، ونفي ما عداها. فكلها تتبنى الإلحاد.

إن الشيوعية ليست ضد العقيدة الإسلامية وحدها، بل هي ضد المسيحية، وضد كل الأديان والرسالات الإلهية. لأن أساس الأديان (الوحي) وهو شئ غير مادي.

ومن عور الماركسية أو عماها أنها جعلت العامل المادي هو العامل المؤثر

الفعال – عموما ودائما وعلى كل حال – فى سلوك الفرد، وسلوك الجماعة، وسير التاريخ، ولو اكتفوا بقولهم: إن له تأثيرا مهما ما خالفناهم، فهذا ما يصدقه الواقع، وما يؤيده ديننا الذى أثبت أن من الناس من قتلوا أولادهم من إملاق أو خشية إملاق.

ولكنهم – لعماهم وغلوهم – أغفلوا كل العوامل الأخرى فكرية وروحية وعاطفية وكونية قدرية!.

والعلم والواقع يؤكدان أن بين الفكر والمادة تفاعلا، كلاهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به، بل المؤكد أن الفكر الإنسانى أعمق تأثيرا من المادة فى توجيه الأفراد وتغيير المجتمعات. يقول الفيلسوف المعاصر برترند رسل: إن التغييرات التى تلحق بأدوات الإنتاج ترتد فى أساسها إلى أسباب ذات طبيعة عقلية، وهى تتمثل فى كشوف العلم ومخترعاته. واستقراء التاريخ لا يؤيد رأى الماركسية فى أن كشوف العلم ومخترعاته تنشأ عن الأوضاع المادية (١).

يقول انجلز فى كتابه «ضددوهرنج»:

«ليس الدين سوى انعكاس خيالى وهمى فى أذهان الناس من القوى الخارجية على حياتهم اليومية، وهم انعكاس تتخذ فيه قوى العالم شكل قوى فوق الطبيعة» (٢).

ولكن لو كان الدين مجرد انعكاس للظروف الاقتصادية ولأسلوب الإنتاج خاصة، فلماذا عاش دين كالمسيحية ألفى عام رغم تطور أساليب الإنتاج، بل لماذا عاشت اليهودية أكثر من ذلك؟ ولماذا تتعدد الأديان فى البيئة الواحدة رغم وحدة الوضع الاقتصادى وأسلوب الإنتاج؟ لماذا كان فى الهند مسلمون وهندوس؟ وكان فى الشرق العربى مسلمون ونصارى؟

---

(١) الفلسفة الخلقية د. توفيق الطويل ص ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) تفسير التاريخ للأستاذ الباكستانى عبد الحميد الصديقى ص ١١٠.

ما الظروف الاقتصادية التى جعلت المسيح يخالف اليهود ويأتى بدين جديد؟ وجعلت محمدا يرفض الوثنية ويدعو إلى التوحيد؟ وما أسلوب الإنتاج الذى تغير، فأوحى إليه هذا القرآن العظيم؟ إن الرحى والطاحون والمغزل اليدوى كانت قبل الإسلام بقرون وقرون، وظلت بعده بقرون وقرون، فما الذى حدا بهذا النبى وبأصحابه أن يخاصموا قومهم، وتعرضوا للبلاء والاضطهاد والعذاب، ويعرضوا مصالحهم الاقتصادية للخطر والضرر، حتى أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله. ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحشر: ٨].

إن الإنسان – بناء على فلسفة ماركس – ليس مسؤولا عن تصرفاته وسلوكه، لأنه مجبر عليها لا محالة، يقهره عليها الوضع الاقتصادى وأسلوب الإنتاج الذى يعيش فيه، ومقتضى هذا التفسير أن كل أنواع الظلم والاستغلال والفجور والشرور لها ما يسوغها ويبررها. فقد كانت فى وقتها أمورا لا مفر منها، تفرضها أساليب الإنتاج، ومظالم عصر الرق الرومانى، ومظالم عصر الإقطاع، ومظالم الرأسمالية الغربية كلها، لم تكن فى الحقيقة مظالم، إنها أثر حتمى للوضع الاقتصادى، أو لأسلوب الإنتاج الذى ساد فى المجتمع.

وكأن ماركس بهذه الفلسفة البائسة يعتذر عن ظلم الظالمين، أو يحامى عما اقترفت أيديهم من موبقات فى حق المستضعفين والمسحوقين.

ثم إن الشرف والصدق والعدل والشهامة وغيرها مما نعتبره فضائل لا مكان لها فى قاموس الماركسية. فليس عندها (قيمة) ثابتة، ولا فضائل دائمة. فكل هدف الماركسيين أن يدحروا خصومهم، ويبنوا مجدهم ولو فوق أشلائهم.

«إن حركة العمال (البروليتاريا) متحررة من أساطير الدين، ومن الديموقراطية والأخلاق السامية، التى ليست كلها إلا سلسلة صنعتها الطبقة

المتوسطة (البرجوازية) للسيطرة على الطبقات الفقيرة واستعبادها، وما من شئ أخلاقى سوى ما يمهد للقضاء على الرأسمالية قضاء تاما نهائيا. والقانون الأعلى هو انتصار الثورة ونجاحها».

يقول ألكسندر جرى: إن ماركس واضع أساطير، الحقيقة فيها أمر ثانوى، ماد امت الأسطورة تصورما يرغب هو فى أن يعتقده، وما دام فى هذه الحقيقة قوة تلهم العمل، هذه الفلسفات لا داعى لأن تكون صحيحة فى نفسها، ولكنها يجب أن تتفق مع عواطف الجماهير المكافحة» (١).

● **الشيوعية ضد الشريعة:**

وكما رفضنا الشيوعية لأنها ضد عقيدة الأمة، فنحن نرفضها أيضا، لأنها ضد شريعة الأمة التى ارتضتها، وارتضاها الله لها، وأتم بها عليها النعمة، حينما قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

جاء ذلك فى القرآن بعد أن ذكر جملة أحكام، تتعلق بالوفاء بالعقود، وبالحج وشعائره، وبالمحرمات من الأطعمة، وكلها من أحكام الشريعة التى تعبد الله بها عباده.

الشيوعية لا تعترف بهذه الشريعة، ولا تعترف بالله تعالى آمرا أو ناهيا، محللا أو محرما، فلا تقبل أحكامه فى العبادات، من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة، ولا أحكامه فى شؤون الأسرة من الزواج وما يتعلق به، والطلاق وتوابعه، وحقوق الزوجية، وحق الميراث، وغير ذلك، فهى ترفض تعدد الزوجات، وكذلك الطلاق، والميراث بضوابطه الشرعية.

وهى ترفض أحكام الشريعة فى الملكية وحقوقها، وواجباتها، وفى طرائق تملك المال، وتنميته، وفى سائر أجزاء النظام الاقتصادى فى الإسلام.

---

(١) تفسير التاريخ ص ١٢٥.

وهى ترفض أحكام العقوبات الإسلامية مثل حد الزنى، وحد السرقة، وحد الحرابة، وحد القذف، وحد الشرب، وحد الردة، وغيرها من العقوبات النصية والتقديرية (التعزيرية).

ورفض الشيوعية لشريعتنا، لا يحتاج إلى مزيد بيان، لأن هذا أمر معروف، ولا نزاع فيه.

● **الشيوعية ضد الأخلاق:**

ونرفض الشيوعية أو الماركسية، لأنها ضد ثبات الأخلاق، والقيم الأخلاقية، فلا شئ عندها ثابت.

إن الماركسية تنكر أن فى الحياة قيما أخلاقية ثابتة، وفضائل عامة مطلقة، إنما توجد قيم نسبية متغيرة تتطور بتطور الأحوال المادية، وبخاصة الأوضاع الاقتصادية، وبعبارة أدق: بأساليب الإنتاج، فالنظام الرأسمالى الذى يقر الملكية الفردية يقتضى تحريم السرقة حتى تصان الملكية. فإذا انتفت الملكية الفردية بدا تحريم السرقة غير ذى موضوع! وهكذا الحرية الفردية، والعفة الجنسية، وغيرها من الفضائل، إنما كانت فضائل فى مرحلة معينة، وليس من الضرورى أن تبقى فضائل أبدا!

لقد نظرت الماركسية العوراء إلى القيم الجزئية المتطورة التى تنشأ من تغير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وعميت عن أن وراء هذه – القيم النسبية المنوطة بظروفها وأسبابها – قيما إنسانية عليا أصيلة يلتقى عندها البشر فى كل زمان ومكان.

يقول «انجلز» رفيق ماركس وشريكه فى فلسفته وبيانه الشيوعى:

«إننا نرفض كل زعم ينادى بتعاليم أخلاقية قبْلية مقررة باسم الدين، أو أى ناموس أخلاقى خالد ثابت، يراد به أن تكون للعالم الأخلاقى مبادئ ثابتة تسمو على التاريخ وعلى الفوارق القومية. ونحن نؤكد – على العكس – أن كل نظرية

أخلاقية غابرة لا تنتج – فى التحليل الأخير – إلا عن الوضع الاقتصادى فى المجتمع المعاصر لها »[1].

ويعلن لينين فى خطاب شهير له سنة ١٩٢٠ : « نحن نقول : إن أخلاقنا كلها تهدف إلى مصلحة النضال الطبقى البروليتارى وتشتق من هذه المصلحة ... وعندنا أن الأخلاق كل الأخلاق تنبع من مصالح الصراع الطبقى »[2]. فالنضال الطبقى لا يتبع الأخلاق ولا يلتزم بها، بل الأخلاق هى التى تتبعه وتبرر كل ما يفعله أو يريد فعله.

أقام ماركس نظريته المادية على أن الإنسان حيوان منتج، فالخصيصة الأولى للإنسان – عنده – هى الإنتاج، لا التفكير كما قال قوم، ولا الأخلاق كما قال آخرون، ولا التدين كما قال غيرهم.

وبهذا أصبح الإنتاج – فى نظره – أعظم مقومات الحياة فى المجتمعات الإنسانية.

وهذا فى الحقيقة – كما لاحظ بعض النقاد – يخالف واقع الإنسان، فإن الإنتاج نفسه تسبقه صفات إنسانية تجعله ممكنا. منها : أن يكون للإنسان مطالب غير مطالب الحيوان، وأن تكون له قدرة تمكنه من تدبير مطالبه بالإنتاج، وإنتاج ما يريد وفقا لمطالبه وكفاياته، وهذه مقدمات ينشأ عنها الإنتاج، ولا يكون هو سببا فى وجودها[3].

● **الشيوعية ضد الحرية :**

ونرفض الشيوعية، لأنها ضد الحرية، ونحن نحب الحرية، ونمقت الاستبداد والدكتاتورية، ونحب أن نكون عبيدا لله وحده لا للطواغيت. وقد قال الإمام على بن أبى طالب : لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا.

---

(١) المذاهب الأخلاقية للدكتور عادل العوا ج ٢ ص ١٠٩ نقلا عن كتاب انجلز : ضد دوهرنج ص ١٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفلسفة الخلقية للدكتور توفيق الطويل ص ٢٨٩.

الشيوعية فى كل بلاد الدنيا عدو لحرية البشر، وفلسفتها قائمة على وأد الحريات السياسية. واتخاذ الدكتاتورية سبيلا لها. فما تكاد تقبض العصبة الاشتراكية على زمام الحكم، حتى تنصب المشانق والمقاصل لقصف رقاب المعارضين، وحتى تسل سيف الإرهاب على المواطنين، وتفتح السجون والمعتقلات، والمنافى، وتصادر الأموال والملكيات، وتعمل على تصفية خصومها بكل أسلوب، رضيته الأخلاق أو لم ترضه، فكل أسلوب عندها مشروع، والغاية تبرر الوسيلة، والأخلاق والأديان التى تحرم القسوة والاضطهاد والتعذيب ونحوها إنما هى صناعة برجوازية.

والثوريون أنفسهم يجاهرون بهذا ولا يخفونه، بل يباهون به كأنه مأثرة أو مفخرة.

يقول لينين فى رسالة له إلى مكسيم جوركى: لا بأس بقتل ثلاثة أرباع العالم، ليكون الربع الباقى شيوعيا!

لقد ادعى ماركس أن النظام الشيوعى يؤدى إلى دكتاتورية العمال وإلى الديمقراطية، ولكننا لو بحثنا الأسس التى يقوم عليها نظام الحكم فى الدول الشيوعية لوجدنا أنه أبعد ما يكون عن الحكم الديمقراطى، إذ ليس له من صفات هذا النظام إلا الاسم، فهو حكم دكتاتورى بحت. وكان الأمر يهون لو كان النظام نظام دكتاتورية عمالية حقا، ولكنه فى الواقع دكتاتورية فرد أو عدة أفراد، أما بقية أفراد الطبقة العمالية، فإنهم يقاسون من هذه الدكتاتورية.

حقا إن النظام السوفيتى فى تكوين سلطاته له مظهر الديمقراطية، ولكنه من الناحية الواقعية الفعلية حكم دكتاتورى، فهناك مجالس للقرى، ومجالس للمقاطعات، ومجالس للجمهوريات، ثم مجلس السوفيت، وكلها تتم بالانتخاب، وهذه الهيئة الأخيرة، كان لينين يسميها البرلمان العالى. وهذه الهيئات مرتبة ترتيبا تصاعديا، ابتداء من مجالس القرى حتى الهيئة المركزية، التى تعين رئيس الاتحاد، وتشرف على النواحى التشريعية والتنفيذية، وكل هذه

الهيئات محصورة عضويتها فى الحزب الشيوعى الذى يشرف فى الواقع على الحياة السياسية الروسية عن طريق البليتبورو Politburo والأورجبورو Orgburo والأمانة أو السكرتارية. ولكن حق الانتخاب محصور فى الحزب الشيوعى وأعضائه، وهذا الحزب لا يضم جميع الروس، ففى سنة ١٩٤٧ كان أعضاؤه ستة ملايين، بينما كان تعداد الشعب الروسى ١٩٠ مليونا ثم إن هذا الحزب الوحيد ليس مفتوحا للجميع، إذ لا تقبل عضوية أى فرد إلا بعد توفر عدة شروط، من أهمها أن يزكيه ثلاثة من أعضائه. ولا يمكن لشخص أن يرشح نفسه للانتخاب إلا إذا وافق الحزب الشيوعى على ترشيحه. ثم إن وظائف رئيس الدولة ورئيس الوزارة والوزراء، وغيرهم من كبار رجال الحكم محصورة فى كبار رجال الحزب الشيوعى، بحيث تكونت فى روسيا طبقة من الوزراء والمستوزرين بيدهم مقاليد الأمور، كما فى كثير من الدول الرأسمالية، وهذه الطبقة التى نستطيع أن نسميها طبقة الحكام – طبقة جديدة – لها امتيازاتها ومستواها المعيشى، ومركزها الأدبى، وفوق كل الطبقات: (اللجنة المركزية) للحزب.

وعلي رأس الجميع (الزعيم) الذي يضفى عليه لون من (التأليه) الذي رفضته الشيوعية حين جاء من قبل الدين ثم تقبلته حين جاء بل فرضته من قبل الأيديولوجية)[1]

● **الشيوعية مذهب متناقض:**

ونرفض الشيوعية أو الماركسية، لأنها – من الناحية الفكرية النظرية – مذهب متناقض، يهدم بعضه بعضا. يتمثل هذا التناقض فى عدة أشياء نذكر منها:

أن الماركسية لا ترى فى الوجود قيمة مطلقة ولا شيئا أبديا، كل المبادئ والقيم والأفكار هى نسبية متغيرة، لأنها – كما ذكرنا من قبل – انعكاس للظروف الاقتصادية أو لأسلوب الإنتاج، فإذا تغير تغيرت تلك القيم والأفكار. وكان يجب أن ينطبق هذا على الماركسية نفسها، وفكرتها عن التاريخ، فإنها ليست إلا انعكاسا للعصر الذى عاش فيه ماركس وأحواله الاقتصادية. وعلى هذا

(١) انظر: كتاب (الشيوعية اليوم وغدا) ص ١٤٦ وما بعدها.

لا تعود الماركسية صحيحة مطلقة فى كل زمان ومكان. ربما كانت صالحة لزمان ماركس وبيئته، ولا تصلح للأزمنة التى تليه، والبيئات التى لم تعشها، فالمفروض مع تغير الزمن أن تتغير النظرة والتفسير. ولكن الماركسيين لا يقبلون هذا أبدا. فوقعوا بهذا فى تناقض لا مخلص لهم منه بحال. ولم يستطع أحد من تلامذة ماركس أن يحل هذا الإشكال.

ويبدو تناقض الماركسية الفكرى فى صورة أخرى: ذلك أن ماركس يرى الصراع بين الطبقات أمرا حتميا، حتى إذا نجحت الشيوعية انتهى هذا القانون الحتمى.

ومن تناقض الماركسية أنها ترفض الغيبيات التى يجئ بها الدين، لأنها لا تؤمن إلا بما هو محس وواقع، ثم تفحصها فإذا هى مشحونة بالتنبؤات التى لا يسندها حس ولا يؤيدها واقع.

ومن تناقض الماركسية أنها ترفض الجنة التى وعدت بها الأديان، لأنها لا تؤمن إلا بالحاضر المادى الملوس، ثم إنها تعد معتنقيها بجنة من نوع آخر، جنة فى هذه الدنيا، جنة المجتمع الشيوعى الذى تزول فيه الطبقات، ويأخذ فيه كل بقدر حاجته لا بقدر عمله، وتزول الدول بشرطتها وعقابها وسجونها.

وقد مر أكثر من نصف قرن على قيام الثورة الماركسية فى روسيا، ولم نر هذه الجنة ولا ظلالها، وقد سقطت الشيوعية ولم تقترب من هذه الجنة الموعودة.

إن المادية الجدلية التى دعا إليها ماركس تؤمن بمبدأ الصيرورة أى بالتغير الدائم، والتبدل المستمر، نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية، وبمقتضى مبدأ «النقيض» الذى أخذه ماركس من فلسفة هيجل الفيلسوف الألمانى الشهير بفلسفته المثالية.

ولكنها تخرج على هذا المبدأ الجدلى حين تبشر بمجتمع أخير لا يقبل النقيض، هو المجتمع الشيوعى المثالى الكامل!

والحقيقة كما قال أحد النبهاء: إن الماركسية لا تمحو الطبقات بحذفها،

ولكنها تستعيض عنها بطبقة أخرى. لها نبيها، ولها قديسوها، ولها جنها، ولها شيطانها، ولها طقوسها.

ومن تناقض الماركسية أنها رفضت الدين الذى ورثته الإنسانية عن طريق النبوات الهادية، والكتب السماوية. ثم اصطنعت هى عقيدة لها كل ما للدين من خصائص.

● **الشيوعية ضد وحدة الأمة:**

ونرفض الشيوعية أو الماركسية، لأنها ضد وحدة الأمة، فنحن نؤمن بأن المسلمين – حيثما كانوا – أمة واحدة، تجمعهم وحدة العقيدة، ووحدة العبادة، ووحدة الآداب، ووحدة القبلة، ووحدة المشاعر، ووحدة التشريع، عبر القرآن عن رابطتهم بعنوان الأخوة، فقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠] واعتبرهم أمة واحدة ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥٢] وصور الرسول الكريم ترابطهم وتعاطفهم بأنهم «كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» متفق عليه، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

وتؤكد الشريعة وحدة الأمة بعدة أحكام أساسية تقررها: وحدة المرجعية الفكرية والتشريعية للأمة، ووحدة دار الإسلام مهما تباعدت أقطارها. ووحدة القيادة المركزية المتمثلة فى الخلافة.

والشيوعية ترفض الدين – كما ترفض القومية – رابطة بين الناس.

بل هى تعمل على تقسيم المجتمع الواحد، فهى تؤجج صراع الطبقات لتستفيد منه في النهاية، وتنادي العمال أن يتحدوا أي ضد الطبقات الأخرى. والإسلام يؤاخى بين الطبقات جميعها، ويوجب إقامة العدل بينها، ولا ينحاز لطبقة ضد أخرى.

● **الشيوعية استعمار جديد:**

ونرفض الشيوعية، لأنها ضد سيادتنا، إنها استعمار جديد، ونحن نرفض

الاستعمار، أيا كان نوعه أو شكله أو اسمه، سواء كان استعمارا إنجليزيا أم أمريكيا أم روسيا أو صينيا، سواء كان لونه أزرق أم أحمر أم أصفر.

وقد أثبتت لنا الوقائع المشاهدة أن الشيوعية هى أعلى درجات الاستعمار. فإن الاستعمار التقليدى يكتفى باحتلال الأرض، وانتهاب الخيرات، واصطفاء فئة من السكان يُسلِّمهم الزمام، ويحركهم من وراء الستار. أما الاستعمار الشيوعى فلا يكتفى باحتلال الأرض حتى يحتل العقول والأفكار، ولا يكتفى بفئة تواليه بل يعمل على إخراج الشعب كله قهرا من عقائده ومُثله. وإخضاعه لأفكاره ونظامه، وإبادة كل فريق يتمرد أو يتردد فى طاعته والخضوع لسلطانه.

ثم إن الاستعمار التقليدى يمكن مقاومته حتى يحزم أمتعته ويرحل. أما الاستعمار الشيوعى، فهو إذا دخل أرضا لا يفارقها ولا يبقى فيها قوة ما تقدر على المقاومة. وإن راودت فكرة المقاومة يوما شعبا ما فى بلد ما، فيا ويله ثم يا ويله. وعند المجر وتشكوسلوفاكيا الخبر اليقين، فقد دكتهما الدبابات الروسية، والقوات الروسية، حتى استسلم البلدان.

● **الشيوعية بنت اليهودية:**

ونرفض الشيوعية، لأنها بنت اليهودية، واليهود الآن هم عدونا الأول، هم الذين اغتصبوا الأرض، وسفكوا الدم، وشردوا الأهل، وهتكوا كل حرمة، ولم يرقبوا فى مؤمن إلاً ولا ذمة.

وقد وضحنا هذه القضية (صلة الشيوعية باليهودية) فى الصفحات الماضية بما يكفى من الوقائع والأدلة.

● **الشيوعية أداة الصليبية فى حربنا:**

ونرفض الشيوعية، لأنها أمست الآن الأداة الأولى للصليبية الغربية فى حربنا.

إنها يئست أن تدخلنا فى دينها، فاكتفت بأن تخرجنا من ديننا. لم

تستطع أن تجلعنا نصارى، فلتحاول أن تجعلنا شيوعيين . . لتفسح المجال للمبشرين الماركسيين بعد فشل المبشرين المسيحيين.

إن المهم هو هدمنا، ولا بأس أن يكون بمعاول حمراء.

المهم أن نتخلى عن مصدر قوتنا ووحدتنا «الإسلام» وإن أصبحنا بغير دين قط.

المهم أن نتخلى عن القرآن، وإن استبدلنا به «رأس المال» لا الإنجيل.

المهم أن نقطع حبالنا بمحمد - ﷺ - وإن صحبنا بعده ماركس ولينين، لا المسيح ولا بولس.

لا تعجبوا فإن حقد الصليبية الأسود المسموم، يجعلها تستعين علينا بألد أعدائها!.

لا تعجبوا فقد قال مبشر نصراني في أفريقيا لطبيب مسلم كان هناك، نحن لم نستطع أن نحولكم إلي مسيحيين فلنجتهد أن نحولكم إلي شيوعيين، أن دعاة الشيوعية هم مبشرونا الجدد عندكم.

ولا تعجبوا من اتفاق الطرفين علينا، فالكفر كله ملة واحدة كما قال فقهاؤنا، وصدق الله ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [الأنفال: ٧٣] ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [الجاثية: ١٩].

● **الشيوعية معناها التبعية لغيرنا:**

ونرفض الماركسية أو الشيوعية، لأننا نرفض التبعية العقائدية والفكرية لغيرنا، نرفض التسول ومد الأيدى إلى غيرنا، وقد جعلنا الله أغنياء بما عندنا من عقيدة ومنهج للحياة، وفلسفة كاملة للإنسان والكون والتاريخ. فإن من قيمنا الأصيلة أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

إن تسول الأغنياء جريمة يحرمها الدين، وتنكرها الأخلاق، وترفضها الأعراف، وتعاقب عليها القوانين، وهذا ينطبق على الأمم كما ينطبق على الأفراد.

نحن نرفض التسول، ونرفض أيضا الاستيراد: استيراد العقائد والمذاهب من عند غيرنا، وعندنا عقيدتنا الشاملة الكاملة المتوازنة.

إن استيراد بضاعة أجنبية، مع وجود بضاعة وطنية خير منها وأيسر، لا يجوز فى عرف الاقتصاديين ولا عرف العقلاء من الناس كافة. إن الاستيراد من صديق فى هذه الحالة لا يجوز، فكيف من عدو؟

وإذا كان استيراد البضائع الأجنبية ضد المصلحة الاقتصادية، فإن استيراد العقائد ضد الدين والإيمان. إنه الكفر البواح الذى لا يقبله الله بحال.

ولا يغرنك ما يقال من التفرقة بين العقيدة الاجتماعية والعقيدة الدينية، فهذا محض وهم، أو لعب بالألفاظ. فالعقائد كلها دينية فى طبيعتها وجوهرها، وإن كانت إلحادية فى مضمونها. ولهذا أطلق بعض الدارسين على هذه «الأيديولوجيات» العلمانية تسمية «أديان بغير وحى» وسماها آخرون: الأديان البديلة.

نعم، نرفض الشيوعية لأننا نرفض التبعية الفكرية والأيديولوجية، نرفض أن نكون ذيولا وقد خلقنا الله رؤوسا، وأن نكون تلاميذ لفروخ اليهودية العالمية. وقد شاء الله لنا أن نكون معلمين للبشرية وشهداء على الناس. ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

● **الشيوعية دعوة رجعية:**

ونرفض الماركسية أو الشيوعية لأنها دعوة «رجعية» دعوة إلى «الانتكاس» بالبشرية، وليس إلى «تقدم» الإنسانية، هى رجوع بالإنسان إلى العبودية، ورجوع بالفكر والإيمان إلى الجبرية، ورجوع بالإنسانية إلى الوثنية، ورجوع بالأخلاق والقيم إلى الحيوانية، كما أنها انحطاط بالإنسان من أفق (الرشد) الذى يؤمن بالغيب إلى حضيض (الطفولة) الإنسانية. فالطفل هو الذى لا يؤمن إلا بالحس، فإذا رشد ونضج بدأ يدرك المعنويات، ولا يزال يرتقى حتى يؤمن بالغيبيات.

● **الشيوعية مذهب لا حاجة بنا إليه :**

ونرفض الشيوعية أو الماركسية، لأنها مذهب لا يعالج مشاكلنا، ولا يلبى مطالبنا، وليس بنا حاجة إليه.

لقد قامت الشيوعية، لتعالج مشكلات الرأسمالية المتجبرة، المصاصة للدماء، التى تأكل عرق العمال ولا تعطيهم من الأجر ما يكفيهم.

ونقول : إن هذه الرأسمالية التى أدركها كارل ماركس، وشن عليها غارته، لم تعد موجودة الآن فى أى جزء من العالم بتلك الصورة البشعة التى شهدها القرن التاسع عشر.

لقد شاهد ماركس الرأسمالية وهى في أوْج قسوتها وعنفوانها وشراهتها. وقد عدلت الرأسمالية المطلقة من اتجاهها وسلوكها، وقامت (نقابات العمال) فى البلاد الرأسمالية بحماية حقوق العمال وفرض مطالبهم العادلة علي المؤسسات بل علي الحكومات في كثير من الأحيان، وأصبح فى كثير من البلاد الرأسمالية من أنواع الضمانات الاجتماعية والمعيشية، ما يجعل العامل آمنا على نفسه وأهله وولده ومستقبله، ومن المؤكد أن العمال فى البلاد الشيوعية – بلاد دكتاتورية العمال – لا يحصلون على فتات العمال فى بلاد الرأسمالية.

أما فى بلادنا، فلم تبلغ درجة الرأسمالية الكبرى فى وقت من الأوقات، حتى نحتاج إلى اشتراكية ماركس للتحرر من نيرها، والتخلص من وطأتها وضراوتها.

على أن ماركس قد يكون معذورا، لأنه لم يقدر له أن يطلع على نظام آخر يخلو من عيوب الرأسمالية، ويشتمل على أحسن ما فيها من عناصر ومزايا.

ومن يدرى، لعله لو اطلع على نظام الإسلام الذى يقر الملكية الخاصة، ويحميها، ولكنه لا يتدخل لحمايتها إلا إذا جاءت من طرق مشروعة، ثم هو يضع قيودا على المالك فى تنميته لما يملك وتثميره له، وفى تصرفه واستهلاكه وإنفاقه، كما يلزمه بواجبات اجتماعية مالية، بعضها موكول لضميره، وبعضها

تقوم الدولة على تنفيذه، وأبرز هذه الواجبات هو الزكاة التى بها يزكى المالك نفسه، ويطهر ماله.

وهذه الزكاة هى الحد الأدنى فى المال، وحق الله الذى لا يسقط بل لا ينقص بحال، ولكن فى المال حقوقا سوى الزكاة تحددها الضرورات والحاجات التى تصيب المجتمع. إن الزكاة هى أول الحقول فى المال وليست آخرها.

لقد جاء الإسلام ليحد من طغيان الأغنياء، وليرفع من مستوى الفقراء، وليقيم التوازن الاقتصادى، ويحقق العدل الاجتماعى، ويربط بين الاقتصاد والإيمان، وبين الاقتصاد والأخلاق، ويجعل الأمة كلها كالأسرة الواحدة، بل كالجسد الواحد .. لو اطلع ماركس على محاسن هذا النظام، وقواعد هذا المنهج، لربما وجد فيه ضالته، وأغناه عن منهجه الذى شط فيه عن الصواب، وحاد عن الصراط المستقيم.

* * *